

رقم الدرس ٤٢٠
الأربعاء ٢١-٥-١٤٣١ هـ

شرح سنن الترمذي كتاب الجنائز

المُلَقَّاة بِجَامِعِ الْمَلِكِ سُعُود - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِجَدَّة

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُور

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُزَيْدٍ الْجَنْبِي الشَّنْقِيطِيِّ
الْمُدَرِّسِ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ

وَعُضُو هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ بِالْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

وَمُقَوِّضِ الْإِفْتَاءِ بِمَنْطَقَةِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِعِلْمِهِ وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

ملاحظة: هذه الدُّرُوسُ لَمْ تُرَاجَعْ مِنْ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ - حَفَظَهُ اللَّهُ - .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

يقول الإمام الحافظ الترمذي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: [بَابُ فَضْلِ الْمَصِيبَةِ إِذَا احْتُسِبَ].

قال - رَحِمَهُ اللَّهُ -: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي سَنَانٍ قَالَ: دَفَنْتُ ابْنَ سَنَانٍ، وَأَبُو طَلْحَةَ الْخَوْلَانِيُّ جَالِسٌ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ الْخُرُوجَ أَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: أَلَا أَبَشِّرُكَ يَا أَبَا سَنَانٍ؟ قُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَرَزَبٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبِضْتُمْ ثَمَرَةَ فَوَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ)).

قال الإمام أبو عيسى - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

الشَّح:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى سَبِيلِهِ وَنَهَجَهُ وَاسْتَقْبَلَتْهُ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ تَرَجَمَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ التِّرْمِذِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِهَذِهِ التَّرْجُمَةِ، وَالَّتِي تَتَعَلَّقُ بِفَضْلِ الْمَصِيبَةِ إِذَا احْتُسِبَتْهَا الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ: بَيَانُ مَا وَرَدَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ لِمَنْ احْتُسِبَ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - الْبَلَاءُ وَالْمَصِيبَةُ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ.

وَالْمَصِيبَةُ تَكُونُ: بِفَقْدِ الْمَالِ، بِفَقْدِ الْوَلَدِ، وَالْمَالِ، وَقَدْ تَكُونُ فِي النَّفْسِ، وَقَدْ تَكُونُ فِيمَا يَحِبُّ الْإِنْسَانُ مِنْ عَزِيزٍ، وَأَخٍ وَصَدِيقٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يُبْتَلَى فِي نَفْسِهِ، يُبْتَلَى فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَبِّهِ، وَيُتَلَى فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ خِيَارَ النَّاسِ مَنْ احْتُسِبَ الْأَجْرُ عِنْدَ رَبِّ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ، وَوُثِّقَ بِاللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ -، وَاللَّهُ لَا يُخَيِّبُ عَبْدَهُ، فَمَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ، كَانَ اللَّهُ عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّهِ، كَمَا قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي

الحديث الصحيح الذي يرويه عن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أَنَّهُ قَالَ: ((أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِ يِي، فَمَنْ ظَنَّ يِي خَيْرًا كَانَ لَهُ، وَمَنْ ظَنَّ يِي شَرًّا كَانَ لَهُ))، فنسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يُعِينَنَا عَلَى إِحْسَانِ الظَّنِّ بِهِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا وَأَعْظَمِهَا أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ وَأَجْزَلَهَا.

مناسبة هذا الباب لكتاب الجنائز: واضحة، وذلك أَنَّ كتابَ الجنائزِ يشتملُ على مصيبة الموت والفقد، سواء كان للقريب أو غير القريب، ومن هنا يرد السؤال: عن هدي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسنته في تسليّة المصاب وجبر خاطره؟

وقد عقّد المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ- هذا الباب بصيغة العموم، مع أَنَّ الواردَ فيه من هذا الحديث خاصٌّ؛ لأنَّه يتعلّقُ بفقد الولدِ، ولكن مضمونَ الحديثِ ومَثْنُ الحديثِ يشيرُ إلى ما عند الله من الكرم والجود والفضل والإحسان، وجبر الكسر لعبده، وهذا معنى عامٌّ، سواء فقد الإنسان قريبه وحبّيه، أو فقد غير القريب.

وذكر -رَحِمَهُ اللَّهُ- هذا الحديث الشريف عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في تسليّة المصاب بولده، ولا شكَّ أَنَّ الإنسانَ فُتِنَ بمحبة الولد، وقد ذكرَ الله في كتابه أَنَّ المؤمنين سألوه وضرعوا إليه أَنْ يهبهم قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَأَنْ يجعلهم للمتقين إمامًا، كما قال سبحانه: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}.

ويَنُّ أَنَّ هذه المنحة الربانية، والعطية الإلهية، وهي نعمة الولد تمنّاها على أتم وجوها وأكملها أنبياء الله، كما قال سبحانه عن عبده زكريا: {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} فَبَيَّنَّ أَنَّ الأنبياء سألوه وضرعوا إليه سبحانه أَنْ يهبهم الذرية الطيبة.

ولا تطيبُ الذرية إلا إذا كانت صالحةً، تطيعُ الله ولا تعصيه، وتتقي الله وتُحَافُ منه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فإذا رُزِقَ الإنسانُ هذه الذرية فإنه يُفْتَنُ بِحَبِّهَا؛ لِأَنَّ النفوسَ جُبِلَتْ على ذلك.

وهذه المحبة أصلها رحمة من الله أودعها في قلوب عباده، ولذلك يتأثر الإنسان عند فقدهم بسبب هذه الرحمة التي أسكنها الله في قلبه، كما في الحديث الصحيح أَنَّ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما دَمَعَتْ عيناه، وسئل عن ذلك عند فقده لإبراهيم، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((رَحْمَةُ أَسْكَنَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ)).

فإذا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يختبر عبده وبيتلّيه، فإن ابتلاءات الله -عَزَّ وَجَلَّ- واختباراتِه تكونُ بأحبِّ الأشياءِ إلى الإنسانِ، وإذا عَظُمَتْ مَنْزِلَةُ العبدِ عندَ الله، وارتفع مقامه، فإنَّ الله يبتليه بأعظمِّ الأشياءِ وأحبِّ

الأشياء إليه، كما ابتلى الأنبياء والرسل وخيرة خلقه، كما قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديث الصحيح يشيرُ إلى هذا المعنى: ((أشدُّكم بلاءً: الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل)).

فإذا جاءَ البلاءُ للعبد لا يأتيه بما يحبُّ، بل يأتيه بما يكره، وإذا جاءَهُ فيما يكره جاءَهُ في أحبِّ الأشياءِ إليه، فابتلي في ولده، وابتلي في نفسه، وابتلي في جسده، وابتلي في ماله، وابتلي في كلِّ شيءٍ، فإذا ابتلي في ولده فإنَّ البلاءَ يكونُ أليماً، ووقعهُ على النفس شديداً؛ لأنَّنا رأينا وسمعنا من هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسنته وما قصَّ اللهُ في كتابه عن أنبيائه وخيرته من رسله، أنَّهم تفرَّطت قلوبُهم لفراقِ الأبناء، كما قال تعالى عن نبيه يعقوب: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}، فهذا

البلاء، وهو -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- فقد ابنه الذي أحبه محبةً دينيةً شرعيةً، مع وجود المحبة المبنية على العاطفة من محبة الوالد لولده، فَقَدَ ابنه يوسف -عليه السلام-، وهو يعلمُ أنَّه سيعودُ إليه، ومع علمه أنَّه سيعودُ إليه؛ لأنَّه أخبرهُ بالرؤيا، وعَلِمَ أنَّ ابنه سيؤولُ إلى أمرٍ عظيمٍ، وأنَّه سيؤولُ إلى مقامٍ كريمٍ، ولذلك قال: {يَا بَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ}، فهذا يدلُّ على أنَّه كان يعلمُ أنَّه كانَ موجوداً، ومع هذا فَقَدَ عَيْنِيهِ من شدة البكاء، وكثرة الحزن، وشكاً إلى الله ما يجده، ففراقُ الأبناء عزيزٌ، فإذا كانَ هذا النبي يفقدُ ابناً سيرجعُ إليه، فما بالك بمن يفقدُ ابناً لا يرجعُ إليه، فالمصائبُ أشدُّ، ولذلك كان من أشدِّ ما يكونُ، ومن الروح العظيم الذي ينزلُ على الإنسان أن يفقدَ حَبَّه وولده، وهكذا الأم، حتى إنَّ الأخيارَ والصالحين كانوا يثُثون ويقولون ويذكرون في مثل هذه المصائب والفجائع الشيء الكثير. ومن أروع ما ذكر في الرثاء والفقد من الشعراء ما كان في فقد الولد، حتى إنَّ قصيدة أبي ذؤيب الهذلي الشاعر المعروف الذي كان في زمان الصحابة -رضوانُ الله عليهم- والتابعين، وكان من الفرسان المشهورين -رضيَ اللهُ عَنْهُ-، فَقَدَ أربعةً من ولده في الجهاد في سبيل الله، وكانت قصيدته في فراقهم شديدةً، حتى إنَّ ابنَ عباسٍ -رضيَ اللهُ عَنْهُمَا- ومعاوية وغيرهم من الصحابة كانوا يتمثلون بها، وهكذا الخليفة أبو جعفر المنصور لما فَقَدَ أخاه أبا العباس السَّفاح الخليفة من قبله، قال: التمسوا لي من يحفظُ قصيدةَ أبي ذؤيب الهذلي، وكان بنو هذيل من أفصح العرب، وباديتهم أفصحُ البوادي لساناً، وهذا معروفٌ ومشهورٌ، ومنهم الصحابيُّ الجليل عبد الله بن

مسعود.

فقال أبي ذؤيب في أبياته المشهورة يخاطب زوجته أُمَيْمَةَ:

أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجَزَعُ
قَالَتْ أُمَيْمَةُ: مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا مُنْذُ ابْتَدَلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ
أَمْ مَا لِحِسْمِكَ لَا يُلَاثِمُ مُضْجَعًا إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
فَقُلْتُ لَهَا: أَمَّا لِحِسْمِي أَنَّهُ أَوْدَى بَنِي مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا
أَوْدَى بَنِي وَأَغْشَقْبُونِي حَسْرَةً بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةً لَا تُقْلَعُ
وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ الْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ وَلَسَوْفَ يُوَلِّعُ بِالْبُكَاءِ مَنْ يُفْجَعُ
وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ أَيَّ لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعَّعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وكانت من أروع القصائد لشدة الحزن بفقد الولد، ففقد الأولاد أمره عظيم.

وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما سأله النساء، وقالوا: يا رسول الله، ذهب الرجالُ بحديثك، فاجعل لنا يومًا تحدثنا فيه، فقال: ((اجتمعن يومَ كَذَا وَكَذَا، فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا)) فاجتمعن، فلما اجتمعن ذكَّرنَّ - بِأَبِي وَأُمِّي صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - بفقد الولد وقال: ((مَا مِنْ امْرَأَةٍ يَمُوتُ لَهَا ثَلَاثَةٌ إِلَّا كُنَّ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، قَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَاثْنَيْنِ)).

وهذا يدلُّ على شدة الأمر وأنَّ المصاب بفقد الولد أليم، وفي صحيح الترميز: أَنَّ رجلاً من الصحابة كان يغشى مجلس النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكان يُخَضِّرُ معه ولده، وكان يتعلق به الولد، ثم إنَّه فَقَدَ هذا الولد، فمات، فانقطع عن مجلس النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الحزن؛ حتى لا يتذكر ولده، فَقَدَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فسأل عنه، فأخبروه، فجاء إليه، فَعَزَّاهُ، ثم قال له: ((أَيَسْرُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ فِي الدُّنْيَا تَتَمَتَّعُ بِهِ، أَوْ يَكُونَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ كُلَّمَا أَتَيْتَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَلَقَّاكَ مِنْهُ))، قال: يا رسول الله، يسرني أن يتلقاني في الجنة.

والأحاديث صحيحة عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ الجزاء عند الله عظيم، وأنَّ الثواب عند الله كريم لمن احتسب عند الله في أي شيء يفقده، خاصة إذا كان من الولد، ومن يعزُّه من فَلَذَّةٍ كَبِيدِهِ.

وفي الحديث الصحيح عنه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ حَالِ الْآبَاءِ مَعَ أَبْنَائِهِمْ وَمَا يَفْقَدُونَهُمْ - كَمَا فِي الصَّحِيحِ - فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : ((أَوَلَيْكَ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ، لَا يَزَالُ أَحَدُهُمْ يَأْخُذُ بِيَدِ أَبِيهِ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ))، والدَّعَامِيصُ: هم الذين يكثرون الدخول على الملوك، وإذا دخلوا لا يمنعون، وهم الناس المعروفون عند الملوك وأهل الجاه، فإذا دخلوا لم يمنعوا، فقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((أَوَلَيْكَ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ)) أي يدخلون في الجنة ويذهبون ويأتون دون أن يسألوا، ودون أن يكون منهم أمرٌ يَضِيقُ عليهم فيه، لعظيم مكانهم وشأنهم، حتى يأخذ الواحد منهم بيدي أبيه في المَحْشَرِ، فيقودُهُ إلى الجنة.

فهذه كُلُّهَا سلوةٌ للعبد المؤمن الصالح الذي آمن بالله، ورضي بقضاء الله، وعلم أَنَّ ما عند الله خَيْرٌ من كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يُعَوِّضُهُ عَمَّا فَقَدَ إِذَا أَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ.

وَقَالَ: هَيْلُوا عَلَيْهِ التُّرْبَ وَاغْتَنِمُوا حُسْنَ الثَّوَابِ مِنَ الْجَبَّارِ ذِي الْمَنَنِ

فَلَا أَمَرَ مِنَ اللَّهِ، وَلَا أَكْرَمَ مِنَ اللَّهِ، وَأَيُّ قَلْبٍ انْكَسَرَ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ -، وَيتوجه إلى اللَّهِ أَنْ يَجْبُرَ كَسْرَهُ، وَأَنْ يُعْظِمَ أَجْرَهُ إِلَّا فَازَ بِمَا يَرْجُو وَزِيَادَةً مِنْ كَرَمِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَإِنَّ كَرَمَ اللَّهِ عَظِيمٌ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَصَابَتْهُ الْمَصِيبَةُ لَيْسَ فِي فَقْدِ الْوَلَدِ، وَلَا الْوَالِدِينَ، وَلَا غَيْرَهُمَا، أَيِّ مَصِيبَةٍ تَنْزَلُ بِالْعَبْدِ، فَتَضِيقُ بِهَا نَفْسُهُ، وَيَضِيقُ بِهَا صَدْرُهُ، فَيَتَوَجَّهَ إِلَى الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَيتوكلُ عَلَى الْحَيِّ الْقَيُّومِ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، وَيَسْبِغُ بِحَمْدِهِ، إِلَّا جَبَرَ اللَّهُ كَسْرَهُ، وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ، وَأَحْسَنَ الْخَلْفَ عَلَيْهِ.

وهذا الحديث شاهدٌ من هذه الشواهد، حيث بَيَّنَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا فَقَدَ وَلَدَهُ سَأَلَ اللَّهَ الْمَلَائِكَةَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِحَالِ عِبَادِهِ، فَهُوَ سَبَّحَانَهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وَعَلِيمٌ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، وَلَكِنَّهُ يَسْأَلُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، وَإِظْهَارًا لَعُلَّوْهُ مَقَامَ هَذَا الْعَبْدِ بِالْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الصَّبْرَ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ، تَعْلُو بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ، فَإِذَا كَانَ الْإِيمَانُ قَوِيًّا كَانَ الصَّبْرُ تَامًّا كَامِلًا، فَيَسْأَلُ اللَّهَ: ((فَيَقُولُ لِمَلَائِكَتِهِ: أَقْبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ: قَبِضْتُمْ ثَمَرَةَ فَوَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ)).

هذا يدلُّ عَلَى أَنَّ الْبَلَاءَ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَ هَذَا الْوَلَدَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْأَوْلَادِ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً فِي قُلُوبِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ هُمْ مَنْزِلَةٌ، وَالشَّرْعُ يُنَبِّئُهُ عَلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ فَهَذَا يُرَاعَى فِي التَّشْرِيعَاتِ وَالْأَحْكَامِ، وَلِذَلِكَ يَرَاعِي الْقَاضِي عَاطِفَةَ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ، فَلَوْ أَنَّ شَخْصًا أَعَانَ شَخْصًا عَلَى أَذِيَةٍ، وَكَانَ الْمُعِينُ وَالِدًا يُعِينُ وَلَدَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ كَمَا لَوْ أَعَانَ غَرِيبٌ غَرِيبًا، وَكَمَا لَوْ أَعَانَ صَدِيقٌ

صديقًا؛ لأنَّ العاطفةَ من الوالدين تدفعُ وتعمي وتصم، ولذلك بيَّنتِ السُّنَّةُ هنا أنَّه فلذةُ كبده، وهذا يدلُّ على عظيمِ الفتنة، ويعبر بالكبدِ وتألَّمها وانصداعِها عند المعزة والمحبة والشوق والحنين، ولذلك عبَّرَ بهذا التعبيرِ المألوفِ في لسانِ العرب، كما قال الشاعر، وهو الصُّمَّةُ بن عبد الله القُشَيْرِيُّ من فرسان التابعين، وكان من قواد الصحابة في الجهاد في الشام قال قصيدته المشهورة، وفيها يقول:

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْثِي عَلَى كَبِدِي خَشْيَةً أَنْ تَصَدَّعَا

فالشيء إذا أحبَّه الإنسان، وأعزَّه، أسكنه في فؤاده، وفي قلبه، وفي أحشائه، ولذلك تعبر الأمُّ والأبُّ بأنَّ الابنَ في أحشائها، بمعنى أنَّه سَكَنَ روحها، وسَكَنَ جسدها كالروح التي سكنتِ الجسد، فلا يمكنُ أن يفصلَ عنها، ولا يمكنُ أن تنفصلَ عنه، وهذا كلُّه إشارة إلى ما وُضِعَ للأبناء من المحبة، وهذا يدلُّ على أنَّه ينبغي للولد أن يتقي الله في والديه، وأنَّ يعلم أنَّ الوالدَ إذا قسا، والأمُّ إذا قست، أنَّ هذا من شدة الحبِّ والعاطفة، ولا يستطيع الإنسان أن يتهمَّ والديه، فهذا ربُّ العزة والجلال يصفُ منزلةَ الولد عند والده بهذه الصفة، ولذلك من شكَّك في حُبِّ أبيك، ومن أساء ظنَّك بأبيك، فقد خانك، وكذب عليك، وأساسُهم ورأسُهم إبليس؛ لأنَّه يحرصُ دائمًا على أن يفسِّرَ تصرفاتِ الأبِّ بأنَّها تسلُّطٌ وتَجَبُّرٌ وأذيةٌ، ولكنَّ الشرعَ يبيِّنُ أنَّها محبةٌ تعمي وتصم، وأنَّك في حشاشة قلبه وفؤاده، وأنَّك في منزلةٍ عظيمةٍ، ولذلك لا يستطيعُ أن يجزي الولدُ والده ووالديه إلا أن يتوجَّه بالدعاء إلى الله -عزَّ وجلَّ-، وأنَّ يُكثِرَ من سؤالِ الله لهما من خيري الدنيا والآخرة، فمحبة الوالدين لا شكَّ فيها ولا مرية، ولذلك يمكنُ أن يشكَّ الإنسان في محبة الناس، لكن لا يمكنُ أن يشكَّ في محبة الوالد والوالدة، وما حرصَ الشيطانُ على شيءٍ بعد إبعاد الإنسان عن القيام بحقِّ الله مثل حرصه على أن يبعد الإنسان عن برِّه بوالديه، بالتشكيك والتخوين والتكذيب، كانت المرأة يقول لها أبوها: إنِّي اخترتُ لك فلانًا، فتقول: سمعًا وطاعةً لأنَّها تعلمُ أنَّ الأبَّ لا يغشُّها، وأنَّ الأبَّ لا يكذبُها، ولما مُلِئتِ القلوبُ -والعياذُ بالله- ممن لا يحسنُ النظرَ في حقيقة الوالد مع ولده، أصبحتِ البنْتُ تشكُّ في أمِّها، والابنُ يشكُّ في أبيه، والابن يقول: أبي دَمَرَ حياتي، ودَمَرَ مستقبلِي، فإذا جئتُ تُنَبِّشُ عن هذا التدمير، وَجَدْتُهُ كان يأمرُ بالصلاة، وكان يضربُهُ ليقومَ إليها، أو ينهأ عن الحرام، أو ينهأ عن الآثام، حتى أساء الظَّنَّ به -والعياذُ بالله-، فهذا كلُّه بسببِ البعدِ عن هدي الشرع، هدي الشرع يُنبِّهُ الناسَ بهذه الكلمات، وهذه الأوصاف، فالله لا يجاملُ أحدًا، وهذا الوصف من الله -جلَّ جلالُهُ- الذي وَصَفَ نفسه فقال: {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}، ولو كان الوالدُ عدوًّا للولد ما جاملَ الله والدًا في ولده ولا ولدًا

في والده، ولذلك قال تعالى: **{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ}**، فجاءت نصوص الكتاب والسنة تُبَيِّنُ أَنَّ في قلب الوالدين من الحبِّ للولد ما الله به عليم، فنسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أَنْ يغفرَ لنا كُلَّ ما قَصَرْنَاهُ في حقِّ الوالدين، وَأَنْ يعينَنَا على إِحْسَانِ الظَّنِّ بِهما والقيام بِحَقِّهما على الوجه الذي يرضيه، اللهم اجْزُ الكسرَ، وأعْظِمْ لهما في ذلك الأجرَ. فلمقصودُ أَنَّ الله تعالى وَصَفَ الولدَ بهذه الصفة.

قال: ((إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ لَمَلَكَيْهِ: قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولون: نعم))، ((إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ)): الولدُ يشملُ الذَّكَرَ والأنثى، ولذلك قال تعالى: **{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ}**، أمَّا الابنُ فخاصٌّ بالذَّكَرِ، والبنتُ خاصةٌ بالأنثى، ((فيقول: قَبِضْتُمْ ثَمَرَةَ فَوَادِهِ؟ فيقولون: نعم))، ((فيقول: قَبِضْتُمْ ثَمَرَةَ فَوَادِهِ؟)) وَصَفَ عَظِيمَ لِمَنْزِلَةِ الابنِ والبنتِ في نفسِ الوالدِ والوالدة؛ لأنَّ الله هو المَطْلَعُ على الأفتدة، وهو المَطْلَعُ على الضمائرِ، نعم إذا صَاحَ أبوك في وجهك وضربك، فعَلِمَ أَنَّ وراءَ هذا الضربِ، ووراءَ هذا الصياحِ قلبًا يَحْبُكُ، وَأَنَّهُ يريدُ لك كُلَّ خَيْرٍ، وَأَنَّهُ رُبَّمَا من شِدَّةِ العاطفةِ أَنَّهُ هذه العاطفة تُعْمِيهِ وتُصِمُّهُ، ولكن لا تستطيعُ أَنْ تصلَ إلى قِرارَةِ القلبِ، فتشكُّ في محبته وإرادة الخيرِ لك، جَزَاهُمُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ الجزاءِ.

((فيقول: ماذا قال عَبْدِي؟))، ((ماذا قال عَبْدِي؟)): مراقبةٌ من الله -جَلَّ جَلَالُهُ-، وفيه دليلٌ على أَنَّ البَلايا إذا نَزَلَتْ بالعبدِ ينبغي عليه أَنْ يراقبَ قولَهُ وعَمَلَهُ، فَإِنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَطَّلَعٌ عليه، وَأَنْ يُرِيَ اللهَ منه خَيْرًا، وَأَنْ يُسَمِعَ اللهَ منه خَيْرًا، أَسْعَدُ النَّاسِ في البَلايا من إذا نَزَلَ به البلاءُ وحلَّتْ به المصيبةُ، وَأَحَاطَ به العناءُ، قال خَيْرًا، وعَمَلَ خَيْرًا، ولذلك قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حينما دَخَلَ على أَبِي سَلَمَةَ، وقد قُبِضَ، وَسَمِعَ الصوتَ، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((لا تقولوا إِلَّا خَيْرًا؛ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُوَمِّنُ عَلَى ما تقولون...)) الحديث، فهذا يدلُّ على أَنَّهُ عند نزول المصيبة يقول الإنسانُ الخَيْرُ: (إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون)، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ من الصابرين، يقولُ ما يرضي الله، كما قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((ولا نقولُ إِلَّا ما يرضي الله))، ويعملُ بما يرضي الله.

وهناك أمران أوصاك الله بهما في البلاء: الصبر، والصلاة.

أَثَرُ عن حَبْرِ الأُمَةِ وترجمانِ القرآنِ عبدِ الله بنِ عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ كانَ في سَفَرٍ، فجاءهُ الحَبْرُ بوفاءِ ابنٍ من أبنائِهِ، فَنَزَلَ من على الدَّابَّةِ، وَصَلَّى ركعتين، ثم قال: (إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، عملنا بما أمرنا ربُّنا: **{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}**).

إذا نزلت المصيبة يتوضأ الإنسان، ويصلي ركعتين، يشكو إلى الله أمره، ويُبثُّ إليه حزنه، والله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَنْبِثُ أوليائه وأصفياه، فلا يقول إلا خيراً.

وصَحَّ عنه - أيضاً - أنه لما جاءه الخبرُ بوفاة أخيه قُتَم بن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ أيضاً.

فهذه هي السنة أن الإنسان يقول الخير، مثل: (إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، الاسترجاع، ويعمل خيراً، كأن يصلي، ويسأل الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الثبات، وأن يأجره على المصيبة، وأن يُحَسِّنَ لَهُ الْخَلْفَ فيها، فهذا كله من توفيق الله، ومن دلائل حبِّ الله للعبد، وإذا أرادت عيناك أن تَرَى العبدَ الصالح الذي اصطفاه الله واجتباؤه، فانظر إليه إذا نزلت به المصيبة، وحلَّت به النكبة، هل يتسخط؟ هل يتفجع؟ أبدأ، تجده ثابت الجنان، وقوي الأركان، مشيد البنان، لا يقول إلا خيراً، أسوة وقودة، خاصة إذا كنت في بيتك وأسرتك ينظر إليك كقدوة، فحينئذ يكون الأمر أشدَّ، كالوالد أمام أولاده، والأخ الكبير أمام إخوانه، ليصبر ويصابر ويحتسب، ولن يرى من الله إلا خيراً.

((فَيَقُولُونَ: حَمْدُكَ، وَاسْتَرْجَعْ))؛ لأنَّ أقوال العباد محفوظة، حفظها ملائكة كرام، يعلمون ما تفعلون، لا يغشون، ولا يكذبون، ولا يغيرون، ولا يبدلون.

((فَيَقُولُونَ: حَمْدُكَ))، قال: (الحمد لله)، والسنة أن يقول الإنسان في البلاء: (الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ).

((وَاسْتَرْجَعْ)): قال: (إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، هذه نعمة عظيمة من الله على العبد. أثير عن عُمَرَ بن عبد العزيز - رَحِمَهُ اللهُ - أنه لما فَقَدَ ابنه، دَخَلَ عليه أحدُ الأخيار والصالحين، ودَكَرَهُ بقصة سَلْتَهُ وَعَزَّتَهُ - رَحِمَهُ اللهُ -، مع أنه كان من خيار العلماء، ومن خيار الخلفاء، فالإنسان مهما عَلَتْ مرتبته؛ لأنَّه كان ابنه عبدُ الملك، وكان عبدُ الملك هذا من أصلح الأولاد كان يحبُّ أباه، ويأمرُ أباه بالمعروف، وينهاه عن المنكر، مع أنه خليفة، ولما صارت قضية حِصْنِ فَدَكٍ، وكان عُمَرُ بن عبد العزيز لا يرى فيها ما رآه من قبله؛ لأنَّها مُنَحَتْ لبعض خلفاء بني أمية، فَدَخَلَ عليه ابنه عبدُ الملك، فقال: (يا أبتاه، حِصْنُ فَدَكٍ رُدَّه حيثُ رُدَّه رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: يا بُنَيَّ، أَنْظِرْنِي إِلَى أَنْ أَنَامَ)، جاء في شدة الظُّهر (القبيلة) متعباً منهكاً، فقال: (أَنْظِرْنِي حَتَّى أَنَامَ، فَإِذَا نِمْتُ استيقظتُ فَرَعْتُ لهذا الشأن، فقال: أي أبتاه، أو تضمن لي أن يحبيك الله، أو تقوم من نومتك)، فقام - رَحِمَهُ اللهُ - فرعاً، وطار عنه النوم، وقال: (الحمد لله الذي رزقني من ولدي من يذكرني بالله)، ثم

خَطَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ الَّذِي عُذِّ مِنْ حَسَنَاتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .
 وَقَفَّ هَذَا الْإِبْنَ فِي حَيَاتِهِ، وَتَأَثَّرَ أَثَرًا عَظِيمًا، وَسُلِّيَ وَعُزِّيَ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الصَّالِحِينَ حَدَّثَهُ
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةً، يُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا، وَكَانَ هَذَا
 الرَّجُلُ مِنْ أَعْبَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ فَقَدَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ الَّتِي كَانَ يُحِبُّهَا فِي جَمَاهَا وَأَدْبَاهَا وَكَمَالِهَا وَحَسَنِ حَالِهَا،
 فَحَزَنَ عَلَيْهَا حُزْنًا عَظِيمًا، وَانْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ، وَقَفَلَ صَوْمَعَتَهُ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنِّي
 أُرِيدُهُ، أُرِيدُ هَذَا الرَّاهِبَ، عِنْدِي مَسْأَلَةٌ، لَا يَحِلُّهَا إِلَّا هُوَ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ هُنَا امْرَأَةً تَقُولُ: إِنَّهَا تَرِيدُكَ فِي
 مَسْأَلَةٍ، لَا يَجِبُ عَنْهَا وَلَا يَحِلُّهَا إِلَّا أَنْتَ، فَنَزَلَ لَهَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: أُرِيدُكَ، وَلَيْسَ مَعَكَ
 أَحَدٌ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ أَقْوَامًا أَعْطَوْنِي عَارِيَّةً، وَهَذِهِ الْعَارِيَّةُ أَخَذْتُهَا وَانْتَفَعْتُ بِهَا مَا شَاءَ
 اللَّهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ جَاءُوا وَسَأَلُونِي إِيَّاهَا، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ شَبِيهَةٌ بِقِصَّةِ أَبِي طَلْحَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الصَّحِيحِ
 لَكِنْ هَذِهِ كَانَتْ مَشْهُورَةً، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَانَتْ مَشْهُورَةً فِي بَنِي
 إِسْرَائِيلَ، فَقَالَتْ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّهُمْ سَأَلُونِي هَذِهِ، فَجَاءُوا يَسْأَلُونِي هَذِهِ الْعَارِيَّةَ، فَقَالَ: رُدِّيْهَا إِلَيْهِمْ،
 فَقَالَتْ: إِنَّهُمْ أَنْظَرُونِي وَأَعْطَوْنِي أَمَدًا طَوِيلًا، فَقَالَ: هَذَا أَحْرَى أَنْ تُرَدِّيْهَا إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ: هَكَذَا
 زَوْجَتُكَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ وَخَلَقَهَا، وَجَعَلَهَا عَارِيَّةً عِنْدَكَ، ثُمَّ قَبَضَهَا، فَذَهَبَ عَنْهُ جَمِيعُ مَا يَجِدُهُ مِنَ
 الْحَزَنِ، وَتَسَلَّى وَتَعَزَّى.

قَالَ عُمَرُ: فَذَهَبَ عَنِّي بَعْدَ أَنْ ذَكَرْتُ بِهِذِهِ الْقِصَّةَ، قَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، أَذْهَبَتْ عَنِّي مَا أَجِدُ فِي نَفْسِي.
 فَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ حِينَمَا يَحْسُ أَنَّ الْعَطَايَا أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا عَطَايَا مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَأَنَّ اللَّهَ
 وَعَدَ بِخُسْنِ الْخَلْفِ، فَإِنَّهُ يَتَسَلَّى وَيَتَعَزَّى، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْمَصَائِبِ الْعَظِيمَةِ كَانِ السَّلَفُ
 الصَّالِحُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - يَسْتَرْجِعُونَ وَلَوْ فِي الشُّوْكَةِ، وَلَوْ فِي الدَّبُوسِ، كَالشُّوْكَةِ تَضْرِبُ طَرَفَ الْقَدَمِ،
 يَقُولُ: (إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا انْقَطَعَ شَسْعُ نَعْلِهِ، قَالَ: (إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ
 رَاجِعُونَ)، يَحْتَسِبُونَ عِنْدَ اللَّهِ كُلَّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ: **[فَضْلُ الْمَصِيبَةِ إِذَا احْتَسَبَ]**، أَيِ
 احْتَسَبَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَجْرَ، فَتَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ كُلَّ مَا يَسُوؤُكَ وَكُلَّ مَا تَكْرَهُ، فَإِذَا عَشْتِ عَلَى هَذَا الْحَالِ
 عَشْتَ حَمِيدًا، فَلَا تَرَى شَيْئًا يَسُرُّكَ إِلَّا حَمَدْتَ اللَّهَ، وَلَا تَرَى شَيْئًا يَضُرُّكَ إِلَّا اسْتَرْجَعْتَ، وَسَأَلْتَ اللَّهَ
 أَنْ يَحْسَنَ لَكَ الْخَلْفَ، إِلَّا كَانَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَخْطُرْ لَكَ عَلَى بَالٍ.

((فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعِبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ))، ((ابْنُوا لِعِبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)): فِيهِ
 دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ يَكُونُ جَزَاؤُهَا بِالْمَنَازِلِ فِي الْجَنَاتِ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ النُّصُوصُ فِي

كتاب الله، وصَحَّحَتْ به الأحاديثُ عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فُيُنْبِئُ للعبد البيت، وَيُنْبِئُ للعبد القصر، ولكن شَتَّانَ بين بيوتِ ثُبْنَى لتهدم، وبين بيوتِ ثُبْنَى لتبقى، شَتَّانَ بين بيوتِ ثُبْنَى من الذَّهَبِ، وهي عاليةٌ في منازلِ ساميةٍ، وبين بيوتِ لا تلبثُ قليلاً حتى تَرَاهَا خاويةً: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا}، فلا يبقى منها شيءٌ، ولكن ما بُنِيَ في الجنة فهو باقٍ، ومن هنا هذا البيتُ يُنْبِئُ للعبد، فإذا قيل: (ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة)، فهو بيتٌ غير البيت الذي تعرفُهُ، ومسكنٌ غير المسكن الذي تألفُهُ، فبيوتُ الجنة بيوتٌ عظيمةٌ، وهذه البيوتُ فيها من النعيمِ المقيمِ والخيرِ العَمِيمِ ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أذنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ، وأهلُها يتراءونَ كما يتراءون الكوكبُ الغابرُ في الأفقِ ومع ذلك لا يتحاسدون، ولا يتضاغنون، وكم من بيتٍ بناه الإنسانُ في الدنيا فجاءَتْهُ مصائبُ الدنيا من نظرِ الناسِ، وحسدِ الحاسدين، وغير ذلك من بلاءِ هذه الدنيا، ولكن قصورَ الجنة ومنازلها تختلفُ فليس في الجنة إلا الأسماء، البيتُ شيءٌ آخرٌ، وإذا كان البيتُ بأمرِ ملكِ الملوكِ وجَبَّارِ السماواتِ والأرضِ في مصيبةٍ انكسر فيها قلبُ عبده المؤمنِ في هذه الدنيا، وأحبَّ سبحانه أن يُفَرِّحَهُ كما أصابَتْهُ وأساءَتْهُ الدنيا، وأحبَّ سبحانه الكريمُ الرحيمُ الحليمُ الودودُ، وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ وَدودٌ، بِأَنَّهُ يُودُّ عبادَهُ بالخيرِ والبرِّ في الدنيا والآخرة، فهذا من وَدِّهِ سبحانه بعباده، وإلا فالأولادُ عطيتُهُ، وإذا قَبَضَهَا فهي أمرُهُ وحكمتُهُ، ومع ذلك يثيبُ ويحسنُ الجزاءَ لكن بشرط: الإيمان، واحتساب الأجر عند الرحمان ((قَالَ: ابْنُوا لعبدي بيتاً في الجنة)) : وهذا يدلُّ على البشارة بالجنة لمن صبر واحتسب ، إذا صبر واحتسب أَنَّهُ يبشُرُ بالجنة ، وَأَنَّ له جزاءً في الجنة ، وهذا ما عناه التابعي -رَحِمَهُ اللهُ- بقوله : (أبشِرْ أبا سنانِ) ، فقد بَشَّرَهُ بما يظهرُ من الحال إن هو صبر واحتسب .

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: [بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَازَةِ].

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: ((أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَّى عَلَى النَّجَاشِيِّ فَكَبَّرَ أَرْبَعًا)).

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: وفي الباب عن ابنِ عَبَّاسٍ وابنِ أَبِي أُوْفَى وجابرٍ ويزيد بنِ ثابتٍ وأنسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

قال الإمام أبو عيسى -رَحِمَهُ اللهُ-: ويزيد بنُ ثابتٍ هو أخو زيد بنِ ثابتٍ، وهو أكبرُ منه، شهد بدرًا، وزيدٌ لم يشهد بدرًا.

قال الإمام أبو عيسى -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: حديثُ أبي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الشرح:

بيَّن المصنفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بهذه الترجمة ما يتعلق بصفة الصلاة على الميت، فالصلاة على الميت تشتمل على صفةٍ مخصوصةٍ محفوظةٍ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وشَرَعَ في هذا الباب وما بعده في بيان الصفة المتعلقة بهذه الصلاة.

والصلاة على الجنائز من فروض الكفاية، فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين. والأصل في وجوبها ولزومها وفرضيتها: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَ بِذَلِكَ، فقال -عليه الصلاة والسلام-: ((صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ))، وهذا أَمْرٌ، ((صَلُّوا)): أَمْرٌ، والأمر للوجوب، فدلَّ على أَنَّهُ يجبُ على الحيِّ أن يصلي على الميت، ولكن هذا الوجوب كما ذكرنا فرضه كفائي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين.

ورغَّب الشرعُ في الصلاة على الميت، وحثَّ عليها، وحضَّ عليها، وبيَّن أنَّ من صَلَّى على الميت كان له قِيرَاطٌ، وأنَّه إذا شهد جنازته حتى تدفن كان له قِيرَاطَانِ، وهذا يدلُّ على فضل الصلاة على الميت. ثم هذه الصلاة فيها خيرٌ للمؤمن المصلي -كما ذكرنا- من كونه يكون له قِيرَاطٌ. ويكون فيه أيضًا أداءٌ لحقِّ أخيه المسلم.

وأيضاً فيه خَيْرٌ للميت؛ لأنَّه إذا صَلَّى عليه أربعون من أهل التوحيد والإيمان ويشفعون له إلا شفَعُوا، وَوَرَدَ: ((الصَّفَّانِ والثلاثة صفوف)) ولذلك كان بعضُ الصحابة إذا قَلَّ العددُ يقسمُهم على الصفوف طلباً لهذا الفضل، أَنَّهُ حتى يشفعوا في الميت.

والصلاة على الميت رَحْمَةٌ من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، شَرَعَهَا لخيرٍ للميت، ولمن يُصَلِّي عليه. وتتأكد هذه الصلاة، ويتأكد لزومها إذا كان الذي تُصَلِّي عليه له حقُّ عليك كالوالدين وذوي القرابة، ومن له فضلٌ، كأهل العلم، ونحوهم ممن له بلاءٌ عظيمٌ على الإسلام والمسلمين، فهؤلاء الصلاة عليهم أكْدُ، ولكن مع هذا كله فإنَّه يصلى على كلِّ بَرٍّ وفاجرٍ، يصلى على أموات المسلمين بَرِّهم وفاجرهم، بل إنَّ عصاة المسلمين أحوجُّ إلى صلاتك من مطيعيهم، والبعض يُحَقِّرُ من الصلاة على أصحاب المعاصي والذنوب، وهذا لا يجوزُ، لا يجوزُ للمسلم أنْ يحتقرَ الصلاةَ على الميت بَرًّا كان أو فاجرًا، فقد أفضوا إلى ما عملوا، وإذا كان يقول لك: إِنَّه عاصٍ، قُلْ له: إِنَّه أخوك في الإسلام، والعاصي أحوجُّ إلى الدعاء، وأحوجُّ إلى أنْ تسألَ الله له.

فإذا شفَعْتَ لأخيك وهو عاصٍ، تسألُ الله له الرحمةَ كان أجركَ أعظمَ؛ لأنَّك في هذه الحالة تجدُ شدةَ حاجةَ أخيك إليك، ولذلك أعظمُ الناسِ ثوابًا في المسلمين من سَدَّ حاجتهم، فإذا كانت الحاجةُ أعظمَ كان الأجرُ أعظمَ، ولذلك الأرملةُ لا أحدَ يقومُ عليها، فإذا سعى عليها الإنسانُ كان أجرُها أعظمَ. فإذا كان مذبذبًا عاصيًا، وأردتَ بشفقة الإسلام وشفقة الإخوة، إخوة الإسلام أنْ تصليَ عليه، وأنْ تترحمَ عليه، وأنْ تسألَ الله أنْ يغفرَ له، وأنْ يرحمه، وأنْ يتجاوزَ عنه، فقد مضى ما مضى وحينئذٍ إذا فعلتَ ذلك أعظمَ الله أجركَ، وأجزَلَ مثوبتك.

لكنَّ العلماءَ قالوا: إِنَّه إذا كان الشخصُ من العصاة المتمردين على الله، بحيثُ إذا امتنعَ أهلُ الفضلِ من الصلاةِ عليهم، انزجرَ الناسُ، وانكفوا، شَرَعَ أنْ يتخلفَ أهلُ الفضلِ كما ذكروا ذلك وبينوه في أكثر من موضع.

هذا في حالة إذا ما كان امتناعُ الشخص من الصلاة عليه يردُّ غيْرُه ويزجرُ غيْرُه ويخوفُ غيْرُه، فهذا غيْرٌ، هذا من بابِ طلبِ ما هو أصلحُ، لكن مع هذا لا يمنعُ أنْ يستغفرَ له، وأنْ يترحمَ عليه في خاصيته، كما نَبَّه عليه بعضُ أهل العلم -رَحِمَهُمُ اللهُ-.

ومن هنا الصلاة فيها شفاعَةٌ، ودعاءٌ للميت، وترخُّمٌ عليه، وهو يحتاجُ إلى هذا الدعاء، ويحتاجُ إلى هذه الصلاة، وقد يكون الإنسانُ في حالٍ قريبٍ من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وإذا كان قريبًا من الله، فإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقبلُ شفاعتَهُ، فإذا سأله أعطاه، وإذا استعاضَ به لنفسه ولغيره أعادَهُ، كما ثبتَ في الحديث الصحيح عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((رُبَّ أَشْعَثَ أُغْبَرٍ، ذِي طُمْرَيْنِ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لِأَبْرَةٍ)).

والصلاة على الميت تستفتحُ بالتكبير، ولذلك عَقَّدَ المصنّف -رَحِمَهُ اللهُ- هذا الباب بالتكبير على الجنائز على الميت.

التكبير في الصلاة على الميت وَرَدَتْ فيه صفاتٌ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَصْحُهَا وَأَقْوَاهَا هذا الذي ثبتَ في الصحيحين من صلاته على النجاشي أَصْحَمَةً أَنَّهُ صَلَّى عَلَيْهِ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا، كما في الصحيح من حديثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: ((أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَعَى النَّجَاشِيَّ يَوْمًا، فَقَالَ: إِنَّهُ مَاتَ الْيَوْمَ عَبْدٌ صَالِحٌ)).

وهذا من معجزاته -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، حيثُ أطلعَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- على موتِ النجاشيِّ، والنجاشيُّ في الحبشة، والنبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في المدينة، ولم يكنْ هناك وسائلٌ يمكنُ بها معرفة الخبر في حينه، ولكن ليعلمَ الناسُ، وليعلمَ الخلقُ عظمةَ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، مع أَنَّ هذه الوسائلُ الموجودةُ كُلُّهَا لا تساوي قطرةً من عشر معشار العشير من رحمته ومنته على خلقه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فأطلعَ اللهُ نَبِيَّهُ على أَنَّهُ مَاتَ في ذلك اليوم، فأخبرَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أصحابَهُ، وقامَ فصلًى بهم، فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا، وهذا التكبير أَرْبَعًا، هو مذهبُ جماهير السلف والخلف -رَحِمَهُ اللهُ-، أَنَّ الأفضَلَ في التكبير على الميت أنْ يكبرَ أَرْبَعًا.

وبهذا القول، قال أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت، وجابر بن عبد الله، وزُرَّارَةُ بن أبي أوفى، والبراء بن عازب، والحسن بن علي بن أبي طالب، وأبو هريرة، من أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، و-رضي الله عنهم أجمعين-.

واختاره الأئمة، فهو مذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، أَنَّ الأفضَلَ أنْ يكبرَ على الجنائز أَرْبَعًا.

وثبتتِ السُّنَّةُ عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديثِ أَبِي أُمَامَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- أَنَّهُ قرَأَ في التكبيرة الأولى بفتحة الكتاب، يُسِرُّهَا ولم يجهُرْ بها -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وأصحُّ القولين أنه يشرعُ قراءةُ الفاتحة في الصلاة على الميت.

والدليل على ذلك هذا: الحديثُ الذي رواه الشافعي وغيره من طريق رواه البيهقي، وأيضاً عمومُ قوله -عليه الصلاة والسلام- كما في الصحيح: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)) فقال: ((لا صلاة))، وسمي الصلاة على الميت صلاةً، قال -عليه الصلاة والسلام-: ((صلُّوا على صاحبكم)) فسمي الصلاة على الجنائز صلاةً، فدلَّ على أنه يشرعُ في الصلاة على الميت أن يقرأ بفاتحة الكتاب، وهذا مذهبُ الشافعية والحنابلة وطائفة من أهل الحديث -رحمةُ الله على الجميع-.

أما التكبيرة الثانية: فيصلِّي فيها على النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لحديث أبي أمامة المتقدم، يصلي فيها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وأما الثالثة: فإنه يدعو فيها للميت؛ لأنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- ثبت عنه ذلك كما في الحديث الصحيح عن عوف بن مالك -رضي الله عنه-: أنه سمع من دعائه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال وهو يصلي على الميت: ((اللهم، اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقيه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس)). وفي رواية: ((كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجته))، وفي بعضها: ((وزوجة خيراً من زوجته)).

والبعض يضعفُ الوجه هذا في اللغة، ويحملُه على أنه من الرواية بالمعنى.

((وزوجاً خيراً من زوجته، وقه عذاب القبر، وأعدّه من عذاب القبر)).

وفي لفظ: ((وقه من عذاب القبر وعذاب النار، وقه من عذاب القبر، وقه عذاب النار)).

قال عوف -رضي الله عنه-: (فتمنيتُ أن أكون أنا ذلك الميت)؛ لأنَّ هذا الدعاء من جوامع دعائه -عليه الصلاة والسلام- في الدعاء للميت، فيدعو له.

هذا الأصل في الصلاة للميت، فإذا عجزَ عن حفظ هذا الدعاء، فإنه أقلَّ ما يدعى من حيِّ ميتٍ فيقول: (اللهم اغفر له، اللهم ارحمه) يجزيه.

ولو دعا بأيِّ دعاءٍ آخر، لا يحفظ هذا الدعاء، ولم يتمكن من حفظه صحَّ أن يدعو بما تيسر له لكنَّ السنة وهدى النبي -صلى الله عليه وسلم- والأفضل والأكمل أن يدعو بهذا الدعاء.

وفي قوله: ((زوجاً خيراً من زوجته))، يقول: ((أبدله داراً خيراً من داره))، والدار التي سيبدلُ هي دار الآخرة، وهي خيرٌ من دار الدنيا.

ودار الآخرة، قال بعض العلماء: إِنَّهَا تَبْدَأُ بِقَبْضِ الرُّوحِ، وَيَعْدُونُ الْبَرْزَخَ أَوَائِلَ مَرَاهِلِ الْآخِرَةِ وَحِينَئِذٍ لَا إِشْكَالَ.

وقوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ))، المرادُ به أنْ يبدَلَ أَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَهَذَا إِمَّا خَاصٌّ، وَإِمَّا عَامٌّ:

إِنْ كَانَ عَلَى الْخُصُوصِ: فَمَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْحَوَرِ الْعَيْنِ.

وَإِنْ كَانَ عَلَى الْعُمُومِ: فَمَا يَكُونُ لَهُ مِنْ رِفْقَةِ الصَّالِحِينَ، كَمَا قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ قَبْضِ رُوحِهِ: ((اللَّهُمَّ، الرَّفِيقَ الْأَعْلَى))، فَهَؤُلَاءِ خَيْرٌ، الرَّفِيقُ الْأَعْلَى، وَسَأَلَ جَوَارَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ جَوَارِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبِّي شَتَانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي

فَالْعَبْدُ إِذَا تُؤَيِّيَ انْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَقَالَ: ((أَبْدَلُهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ))، إِذَا كَانَ رَجُلًا. أَمَّا إِذَا كَانَ امْرَأَةً: فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: (وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهَا)؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّ أَزْوَاجَ الدُّنْيَا هُمْ أَزْوَاجُ الْآخِرَةِ.

وَإِنْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي صَحَّحَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّهُ حَسَنٌ، أَنَّ بَعْضَ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ أُمُّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- سَأَلَتِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لِأَنَّهَا ابْتُلِيتَ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَرْأَةُ يَكُونُ لَهَا أَكْثَرُ مِنْ زَوْجٍ، لِمَنْ هِيَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((هِيَ لِأَحْسَنِ خُلُقًا)).

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ حَسَنِ الْخُلُقِ مَعَ الزَّوْجِ وَالْأَهْلِ، فَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((هِيَ لِأَحْسَنِ خُلُقًا)).

فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا يَقَالُ: (زَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهَا)، وَإِنَّمَا يَقَالُ: (أَبْدَلْتُهَا دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهَا، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهَا)، وَأَمَّا الرَّجُلُ فَيُضَافُ لَهُ: (وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ).

وَهَذَا الْحَدِيثُ بَيَّنَّ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَرْبَعَ لَا يَنْقُصُ مِنْهَا، وَأَنَّهُ إِذَا كَبَّرَ ثَلَاثًا مُتَعَمِّدًا بَطُلَتْ صَلَاتُهُ فِي قَوْلِ طَائِفَةٍ مِنْ أُمَّةِ الْعِلْمِ، أَنَّهُ لَا بَدَّ وَأَنْ يَكْبُرَ أَرْبَعًا، وَلَا يَنْقُصُ عَنِ الْأَرْبَعِ فَيَكْبُرُ ثَلَاثًا.

وأما الزيادة فخمسة ثبتت، وسيشير المصنف -رَحِمَهُ اللهُ- إليها في حديث زيدٍ، ونؤخر الكلام عن الزيادة إلى موضعها.

نسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.